تمـــــرد قطنـــــــــــــا

بعد مؤامرة العجلاني ومحاكمته حدثت نقليات في رئاسة الشعب فأسلمت رئاسة الشعبة الأولى، ونقل السراج من الشعبة الثانية الى ملحق عسكري في بلجيكا. وبما أن النفوري كان سابقا هو رئيس الشعبة الأولى فانه هو الذي أمر بالنقليات، وكان يريد وضع أكرم ديري في الشعبة الثانية. وقام في قطنا تمرد من الضباط البعثيين بسبب نقل السراج. وجاء خليل كلاس الي وقال "الضباط معتصمون في قطنا". قلت له "السراج ضابط ينقل من مكان الى آخر دون اعتراض. قال الكلاس "الضباط البعثيون متعاطفون معه بسبب كشفه عن المؤامرات". قلت له "السراج ليس وحده الذي كشف المؤامرات، فهناك جهاز وطني من الضباط يعمل معه، وأنا لا أجد أن النفوري تجاوز صلاحياته، ومع ذلك فأنا اليوم رئيس الشعبة الأولى وبإمكاني أن أعيده اذا كان يشعر بأية غضاضة على نفسه". كنت أعرف بالمنافسة القائمة بين الضابطين وكلاهما عزيز علي، وأبذل جهدي لتوحيد الصف. فالجبهة التقدمية تتألف من الحزب الوطني الذي ناضل ضد الفرنسيين ضمن الكتلة الوطنية ورئيسه صبري العسلي، وحزب البعث ورئيسه أكرم الحوراني، والحزب الشيوعي ورئيسه خالد بكداش، ومن المستقلين وعنهم خالد العظم. وكان لعشائر البدو ما يقرب من اثني عشر نائبا في البرلمان. وكنت ممثلا للجيش في قلب الجبهة. أما حزب الشعب فكان ضمن الكتلة الوطنية ثم انشق عنها، وكان وراء محاولات الاتحاد مع العراق والانقلابات التي يدعمها الانجليز كانقلاب حسني الزعيم قبل أن يستوعبه الأميركان عن طريق محسن البرازي، وانقلاب سامي الحناوي؛ ومؤامرة ميخائيل اليان، ثم مؤامرة العجلاني الأميركيتين. ومع ذلك كان لنواب هذا الحزب نصف مقاعد البرلمان باعتباره يمثل الفعاليات الاقتصادية في البلد، ورئيسه رشدي الكيخيا كان رئيس مجلس النواب. حتى أن المجلس في الجلسات المهمة كان يضطر لارسال طائرة الى نواب الجبهة التقدمية كي يحضروا ويشكلوا أكثرية في اتخاذ القرارات. كنت في منزل خالد العظم، وكان هناك أكرم الحوراني فقلت له: لماذا لا ترأس أنت المجلس؟ جفل وقال "ولكن هذا معناه قطيعة مع حزب الشعب". قلت له "وماذا بيننا وبين حزب الشعب من صلات بعد كل هذه المؤامرات؟"

أصبح أكرم الحوراني رئيسا وطلب رشدي الكيخيا الاستقالة وتبعه نواب حزب الشعب. وكان رؤساء الجبهة مجتمعين في بيت خالد العظم يتداولون في قبول الاستقالة أم رفضها، فقلت لهم "انها فرصة العمر، ليستقيلوا ونؤلف مجلسا نظيفا"..

وافق الجميع على قبول الاستقالة، وبعد يومين سمعت بالاذاعة، وكنت أنتظر اعلان الاستقالة، بأن المجلس رفضها.. تناولت الهاتف وقلت لأكرم الحوراني "ماهذا؟ أهي لعبة أطفال؟ نوافق جميعنا على الاستقالة وتنفرد أنت وجماعتك بعدم قبولها؟ هذه

خيانة للجبهة" وأغلقت التلفون، وتحاشيت الحديث مع أكرم حوراني كلما تلفن.. وجاء لزيارتي عبد الفتاح الزلط وهو بعثي من جماعة أكرم وصديقي. قال لي "يا أبو يوسف، اننا محاصرون من الأعداء، ولا تجوز تلك القطيعة بينك وبين أكرم. أنا أنزل في فندق سميراميس وسأجمعك به هناك وتتفاهما. علمت أن محمود رياض السفير المصري كان وراء هذا الموقف من أكرم الحوراني. وكان محمود رياض قد بدأ نشاطاته لتفتيت الجبهة في سوريا بأمر من عبد الناصر، وكان حاضرا الجلسة التي خالف فيها أكرم إجماع الجبهة، وعلمت أنه كان في زيارته في اليوم الذي سبق.. ورضيت أن أجتمع بأكرم على مضض، وقلت له "أخبرني ما الهدف من تصرفاتك؟ أتريد أن تصبح رئيسا للجمهورية؟ انني في الغد أنصبك رئيسا للجمهورية وأعتزل أنا الجيش.. ولكن أتظن بأن رجلا واحدا يستطيع أن يدير شؤون سوريا؟ انه إما أن يخون أو يقتل. ان سوريا لا ينقذها الا جبهة وطنية تكون الفئات كلها مخلصة لها، أما أن نلعب جلا، جلا، نخرج منديلا من كم وطيرا من قبعة فلن يستفيد من هذا الا المتآمرون على سوريا".

كان أكرم الحوراني صامتا طوال الوقت لا يرد بكلمة، وأردفت "انني أضع يدي في يدك لأنني أعرف فيك رجلا وطنيا، ولأنني أتوجع من أجل هذه الجبهة التي وقفنا جميعا صامدين بها تجاه كل المؤامرات على استقلالنا، ولكن ما فعلته لا يمكن نسيانه أبدا "..

وهجم عبد الفتاح الزلط وعانقني.. وتصالحت وأكرم وتعانقنا. وعاد الكيخيا الى المجلس كنائب، وكان يحاول مقابلتي فأرفض مقابلته. وجاء عبد الوهاب حومد، وهو محام من حزب الشعب وأخوه صديقي ورجاني أن أقابله عشر دقائق، فقلت "أبدا لا أريد أن يذهب ويتاجر بمقابلتي"..

كانت الانتخابات على الأبواب، وكنت واثقا أن الناس سينفضون عن حزب الشعب ولن يتبعه أحد.. ولما ألح عبد الوهاب حومد علي قلت له "لماذا تتبع الكيخيا؟ أنت مكانك بيننا. كنت مجرد معلم بسيط عندما أرسلتك البلد لتدرس وتحصل على الدكتوراه على حسابه، فلماذا تخدم حزبا رجعيا متآمرا؟ ماذا قدم لك الكيخيا وماذا قدم للبلد؟" وكان حومد يداور ويقول "ان الكيخيا يحبك، انه رجل طيب". ولكنني بقيت على إصراري في أن لا أستقبل الكيخيا أبدا..

ان الذين وافقوا على استقالة الكيخيا كانوا: صبري العسلي، صلاح البيطار، خالد العظم وخالد بكداش. قلت لخالد العظم "أنتم سياسيون، تصرفوا حسبما تشاؤون، فانني لا أتدخل اذا كانت لديكم حساباتكم المبررة. ولكن يغضب الانسان من المواقف المائعة داخل الجبهة كأنما كل فئة تعمل بمفردها..

وكان تمرد قطنا احدى المحاولات لتفتيت الجبهة الوطنية بافتعال حادثة لاخراج البعثيين منها. نقل خليل كلاس كلامي بشكل سلبي الى الضباط البعثيين المتمردين الذين على رأسهم مصطفى حمدون قريب أكرم الحوراني، وعبد الغني قنوت. وبقي

الضباط على تمردهم بالرغم من عودة السراج الى الشعبة الثانية، فذهبت الى القطعات في قطنا يرافقني السراج. كانت الأخبار التي وصلتهم غامضة، فهدأت خواطرهم حين بانت لهم الأمور على حقيقتها. قلت لهم "هذا ما يتمناه أعداؤنا، فلو دخلت أميركا المنطقة فلن توفرني ولن توفر السراج ولا النفوري ولا البعثيين. تعلق لنا المشانق لأننا في الصف الوطني"..

وذهبوا جميعا الى منزل خالد العظم.. كان عنده بعض الضباط وزوجاتهم وهم عشرة برتبة عقيد في الجيش وعلى رأسهم العقيد عمر قباني. كان هؤلاء الضباط يتصلون بميخائيل اليان للقيام بانقلاب أميركي يرأس الحكومة الجديدة فيه العقيد قباني. وكانت أخبارهم تصل الي الا أنني لا أملك الأدلة الوافية عنهم.. والتفت الى القباني وقلت له "ماذا تفعل هنا؟ أنت من تظن نفسك، ومن في الجيش يتبعك؟ اذهب الى القطعات واختبر نفسك ان كان هناك من يتبعك بدل أن تعمل في الظلام! أنت وجماعتك أشخاص مهترئون منحلون، تصيدون في الماء العكر". والتفت الى الضباط البعثيين قائلا "انظروا من ينتفع بخصوماتكم وانظروالى الجبهة التي تتألف لو انهارت جبهتكم".

* * *